﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ [المؤمنون: 64 - 67]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من ضلالِ الدُّنيا إلى نتيجتِهِ في الآخرةِ

بعد أنْ ذكرت الآيةُ السّابقةُ حال المشركين بربِّهم في الدُّنيا، المُعرضين عن الإيمان به، المُغالين في الانغماس في الباطل في الدُّنيا؛ ناسب بيانَ حالهم يوم القيامة عندما يواجَهون بعذاب جهنَّم، نتيجةَ إعراضهم واستكبارهم، فيرفعونَ أصواتَهم مُستغيثين من عذابها، لكنْ مَنْ ذا الّذي يُغيثهم من عذاب الله إذْ جاءهم؟ فما لهم منه من عاصم، وقد فاتَ وقتُ النَّدم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُتْرَفِيهِم﴾: (ترف) كلمةٌ واحِدَةٌ، وهي التُّرْفَةُ[1]: بمعنى التَّوسُّع في النِّعمة، يُقال: أُتْرِفَ فلانٌ فهو مُتْرَف[2]، فالتَّرَفُ: التَّنَعُّمُ، والتَّتْريفُ حُسْنُ الغذاء، وصبيٌّ مُتْرَفٌ إذا كانَ مُنَعَّمَ البدنِ مُدَلَّلًا، والمُتْرَفُ: الّذي قَدْ أبْطَرَتْه النِّعمةُ وسَعَةُ العيْشِ، وأتْرَفَتْه النّعمةُ؛ أيْ: أطْغَتْه[3]، والمقصود بالمُترَفينَ في الآية: المُعطَوْنَ تَرَفًا، وهو الرَّفاهيةُ؛ أي: المُنَعَّمونَ[4].

2) ﴿يَجۡـَٔرُونَ﴾: (جأر) أصلٌ يدلُّ على رفع الصَّوت، جَأرَ يَجْأرُ جَأرًا وجُؤارًا: رَفَعَ صَوْتَهُ مع تَضَرُّعٍ واسْتِغاثَةٍ[5]، وجَأرَ القومُ إلى الله

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ترف).
(2) الرّاغب، المُفردات: (ترف).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ترف).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 82.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (جأر).

جؤارًا، وهو أنْ يرفَعوا أصواتَهم إلى الله مُتضرِّعين[1]، والجُؤارُ مِثْلُ الخوار، جأر الثَّوْرُ والبقرةُ يَجأرُ جُؤارًا: صاحا، وخارَ يَخور بِمَعْنًى واحدٍ: رَفَعا صَوْتَهُما، وغَيْثٌ جُؤَرٌ مِثْل نُغَر؛ أيْ: مُصَوّتٌ[2]، والمقصود بـ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ في الآية: يَصرخونَ بالتَّضَرُّعِ، وهو كنايةٌ عن شِدَّةِ ألَمِ العذابِ[3].

3) ﴿أَعْقَٰبِكُمْ﴾: (عقب) أصْلٌ يَدُلُّ على تَأْخيرِ شَيءٍ وإتيانهِ بعدَ غيرِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شيئًا فهو عَقيبُهُ[4]، والعَقِبُ: مُؤخَّر الرِّجْل، وقيل: عَقْبٌ، ورجع على عَقِبِه: إذا انْثنى راجعًا[5]، وأعْقَبَ عَنِ الشّيءِ: رَجَعَ[6]، والأعقابُ جَمْعُ عَقِبٍ، وعَقِبُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ وآخِرُهُ، ويُقال: رَجَعَ على عَقِبِهِ وعلى عَقِبَيْهِ، ونَكَصَ على عَقِبَيْهِ بِمَعْنَى رَجَعَ إلَى المكانِ الّذي جاءَ منه؛ لأنَّهُ كانَ جاعلًا إيّاهُ وراءهُ فرَجَعَ، وهو في الآيةِ كنايةٌ عنِ الإعراض عن آيات الله تعالى[7].

4) ﴿تَنكِصُونَ﴾: (نكص) أصلٌ يدلُّ على الإحجام، يُقال: نَكَصَ على عقبيهِ، إذا أحْجَمَ عن الشَّيءِ خَوفًا وجُبْنًا[8]، والنَّكيصةُ: التَّأخُّر عن الشَّيء[9]، قالَ ابنُ دُريدٍ: نَكَصَ على عقبيْهِ: رَجَعَ عَمّا كانَ عليه من خيرٍ؛ لا يُقالُ ذلكَ إلّا في الرُّجوعِ عن الخَيرِ[10]، والمقصود به في الآية: الرُّجوعُ من حيثُ أتَى، وهو الفرارُ، وهو هنا تَمثيلٌ للإعراض[11].

5) ﴿سَٰمِرًا﴾: (سمر) أصْلٌ يدُلُّ على خِلافِ البَياضِ في اللَّونِ[12]، والسَّمْرُ: الحديثُ باللَّيْلِ، مأخوذٌ مِنَ السَّمَرِ، وهو ظِلُّ القمرِ، ومنه؛ سُمْرَةُ اللَّونِ[13]، والسّامِرُ: الموضِعُ الّذي

(1) الخليل، العين، والرّاغب، المُفردات: (جأر).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (جأر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 84.
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عقب).
(5) الرّاغب، المُفردات: (عقب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (عقب).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 300، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 47.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نكص).
(9) الخليل، العين: (نكص).
(10) ابن دُرَيْد، جمهرة اللُّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (نكص).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 85.
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سمر).
(13) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سمر).

يجتمعون فيه للسَّمَر[1]، والسّامرُ أيضًا: القَوْمُ يتحدَّثون بِاللَّيْلِ، أُخرج مُخرج باقِر وجامِل، والجمع: سُمّار وسامرٌ[2]، والمقصود بالسّامِرِ في الآية: اسمٌ لجمعِ السّامِرينَ؛ أي المُتحدِّثينَ في سَمَرِ اللَّيلِ؛ وهو ظُلمتُهُ[3].

6) ﴿تَهْجُرُونَ﴾: (هجر) أصلٌ يدُلُّ على قَطيعَةٍ وقَطْعٍ، يُقال: هَجَرَ فُلانٌ هَجْرًا بالفَتْح، وهِجْرانًا بالكَسْرِ: إذا تَباعَدَ، وهَجَرَ الشَّيْءَ أو الشَّخْصَ؛ أيْ: تَرَكَهُ وأعْرَضَ عنه، وضِدُّه: الوَصْلُ[4]، ويأتي بمعنى ما يُسْتَفْحَشُ مِن الكلامِ والقَبيحِ مِن القَوْلِ، يُقال: هَجَرَ المَريضُ في كَلامِهِ هَجْرًا؛ أيْ: خَلَطَ وهَذَى[5]، والمُراد به هنا: التَّرْكُ والإعراضُ، أو الهَذَيانُ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جُـــؤارُ الـكـافـرِ المُترفِ عند نزولِ العـذابِ كخوارِ البَقَرِ عندَ نزولِ الذّابحِ

تُبيِّن الآياتُ حالَ المشركين، فإذا عاقَبَ اللّهُ هؤلاء المُترَفينَ المُنعَّمينَ؛ أخَذوا يَصرُخونَ ويَستَغيثونَ مِن شِدَّةِ عَذابِهم، طالِبينَ الخَلاصَ ممّا أصابَهم، فيُقالُ لهم: لا تَصرُخوا وتَستَغيثوا؛ فلا شَيءَ يُخلِّصُكم مِن عذابي، ولا يَنفَعُكم صُراخُكم؛ قد كانتْ الآياتُ تُتلَى عليكم، فكُنتُم تُعرِضونَ عنها، حالَ كونِكم مُستكبرينَ بسببِ البيتِ الحرامِ، - تقولونَ: لا يَظهَرُ علينا أحدٌ؛ لأنّا أهلُ الحَرمِ - متحدِّثينَ ليلًا تَهْذونَ في شأنِ القرآنِ، وتقولونَ فيه الباطلَ[7].

(1) الخليل، العين: (سمر).
(2) ابن دُرَيْد، جمهرة اللُّغة: (سمر).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 86.
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (هجر).
(5) ابن سِيدَه، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (هجر)، والمُناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 342.
(6) السّمين، عُمدة الحُفّاظ: (هجر).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 78، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 135، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 482.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ودلالتُها:

(حـتـى) هنا ابتدائيّة وغايةٌ لما قبلها، وما بعدها كلامٌ مُبتدأٌ غرضُه التَّهديدُ والوعيدُ

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ ابتدائيَّةٌ، يُبتدَأ بها الجُمَل ولا عملَ لها، وما بعدها هو ابتداء كلام، وهي مع ذلك غايةٌ لما قبلها من حيث المعنى؛ أيْ: هي حرفُ انتهاء في المعنى وحرفُ ابتداء في اللَّفظ؛ لأنَّ ما بعدها جملةٌ مُستأنَفَة[1]؛ كأنّه قيل: لا يزالونَ يعملون أعمالَهم إلى وقتِ أخْذِ مُترفيهم بالعذاب، والأكثرُ أنْ تكون في معنى التّفريع، وبهذه الغاية صار الكلامُ تهديدًا لهم بعذاب سيحِلُّ بهم، يجأرون منه ولا ملجأ لهم منه[2].

دلالةُ استعمالِ ظرفِ الزّمانِ المستقبلِ:

تعليقُ جزاءِ أعمالِ المشركين بوقتِ الأخذِ

﴿إِذَآ﴾ ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزّمان، مُضمَّنٌ معنى الشَّرط، وجملة: ﴿أَخَذۡنَا﴾ جملةٌ شرطيّة، والمعنى: فليعمَلوا ما شاءوا من الأعمالِ حتّى وقتِ أخذِهم بالعذابِ الموعودِ، فسيكون لهم من العذاب ما يُدهشهم، وما لا ينالون من ورائه إلّا كلَّ ندمٍ وحَسْرةٍ، ولمّا كانوا كالبهائم لا يخافون من المَهلكة إلّا عند المشاهدة غيَّى عملَهم للخبائث بالأخذ، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا﴾[3].

بلاغةُ الاستعارةِ باستعمالِ مُفرَدَةِ ﴿أَخَذۡنَا﴾:

الأخذُ يدلُّ على قوَّةِ العذابِ وشدَّةِ سطوتِهِ

الأخذ هو: حَوْزُ الشّيء في الأثناء بغِلْظٍ؛ أيْ: قَبْضٌ بقوَّةٍ، وقد جاء أكثرُ فعلِ (أخذ) بمعنى القبض الحقيقيّ أوِ المجازيِّ[4]، وهو هنا مُستعملٌ في معناه المجازيّ بمعنى (انتقمنا)؛ ففي مُفرَدَة (الأخذ) استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة، بتشبيه الانتقام من الظّالمين

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 24/ 265، 266.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 193، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 248، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 81.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 162.
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (أخذ).

بالأخذ، والتَّعبير بالأخذ يدلُّ على قوَّة الانتقام المذكور لوجود التّمسُّكِ بالمُعذَّب والمنتقم منه وعدمِ الإفلات له؛ إذ الأخذُ حوزٌ للشَّيء وتمسُّكٌ به، كما يشيرُ إليه قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر: 42] ويكثرُ ورودُه في وقوع العذاب فجأةً في الدُّنيا، كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: 44]، وقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: 95].

نكتةُ إسنادِ فعلِ (أخذ) إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

تعظيمُ الفاعلِ يستلزمُ عَظَمَةَ الفعلِ وعَظَمَةَ الجُرْمِ

في إسنادِ فعل (أَخَذَ) إلى ضمير العَظَمَة: ﴿أَخَذْنَا﴾ إشعارٌ بقوَّة العذاب وشدَّته؛ فهو من الشدَّة بحيث لا يقدِر على إنشائِهِ وبعثِهِ إلّا مَنْ بيده مقاليدُ السّماواتِ والأرض، وعظمة الآخذِ تُشعِر بعظَمَةِ الأخذِ والانتقامِ، ممّا يدلُّ على عَظَمَة الجُرم الّذي اقترفوه.

دلالةُ استعمالِ مُفرَدَةِ التَّرَفِ:

ذِكْرُ التَّرفِ تنبيهٌ على سببِ الكُفرانِ وتنبيهٌ وتحذيرٌ لأهلِ الشُّكرانِ

المُترَفون هم المُنعَّمون، والتّنعُّم عند العقلاء سببٌ لجَلْبِ الشُّكر، وليس للإغراق في الكفر، لكنّ الإنسانَ ظلومٌ لنفسه كفّارٌ لنعم ربِّه، يُقابلُ النّعمة بالكفران لا بالشُّكران، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34]، ففي ذِكْرِ (التَّرَفِ) في معرضِ التَّعذيبِ والانتقام نعيٌ عليهم؛ لأنَّهم قَلَبوا موازينَ العدلِ، فـ ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: 28]، وفي ذِكْرِ التَّرَفِ إيماءٌ إلى سببِ التَّعذيبِ والانتقام، وأنَّه أصلُ البلاءِ للقلبِ الجَحودِ، وكذلك تنبيهٌ لأهلِ النِّعم أنْ لا يَغرقوا في نِعَمهم، فيُصيبهم بلاءُ الكُفران، كما أنَّ تعليقَ الانتقام بالمشتقِّ ﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾ يدلُّ على علَّة الانتقام؛ وهو التّنعُّم الواصلُ إلى درجة الطُّغيانِ وإنكارِ لقاءِ اللّهِ تعالى.

دلالةُ إضافةِ (مترفين) إلى ضميرِ الغيبةِ:

المُـــترفـــون الجاحدونَ أصلُ كلِّ بلاءٍ وعذابٍ في الدُّنيا والآخرةِ

في إضافة (مُترفين) إلى ضمير الغيبة ﴿مُتْرَفِيهِم﴾ تنبيهٌ على أنَّ الكافرين طبقاتٌ في المعيشة الدنيويَّة، فمنهم مَن يعيش مُترفًا بالغًا أعلى مراتب الجحود والكفران، ومنهم مَن يعيش خادمًا لأولئك يَعيث في الأرض فسادًا لخدمة أسياده المُترفين، لعلَّه ينال من وسخ ترفِهم وقذارة بذَخِهم، ثمَّ يناله ما نالهم في الآخرة، وفي الإضافة تنبيهٌ على أنَّ لكلِّ قوم مُترفين، إذا فسَدوا وجحدوا أفسدوا العباد والبلاد، ونشروا شرورَهم وكانوا سببًا لنشر الطُّغيان والآثام، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: 16]، وأنَّ الواجبَ على العقلاء أن يأخذوا على أيدي المترفين الجاحدينَ ليُنقذوا أنفسَهم من النّار، وأنْ لا يكونوا تبعًا لهم في نقلِ إفسادِهم وشُرورهم.

توجيهُ تخصيصِ المُترفين بالذِّكرِ:

ترفُ الجاحدينَ علَّةُ العذابِ وسببُ العقابِ ومنبعُ كلِّ شرٍّ وبلاءٍ

إنَّما خصَّصَ المُترفين بالتّعذيب مع أنَّ شأن العذاب أنْ يعمَّ الكافرينَ كلَّهم؛ لأنَّهم أشدُّ إحساسًا بالعذاب؛ فهم لم يعتادوا مسَّ الضَّرّاء والآلام[1]، ولأنَّهم - في الأغلب - هم سببُ نزول العذاب بالعامّة والتّابعينَ لهم، لأنَّهم هم الذين يُغوونهم ويُحرِّضونهم على الكفر وهم يَمتثلون لكلامهم، ثمَّ إنَّهم يتبرؤون منهم يومَ القيامة، كما يُشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 82.

ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ [سبأ: 31 - 33]، كما يحملُ التَّخصيص دلالةً تحذيريّةً لكلِّ مُتنعِّم أنْ يُسخِّر ظرفَه المعيشيَّ المُترف نحوَ الإنفاقِ وعملِ الخيرات.

تعيينُ مرجعِ الضَّمير في ﴿مُتْرَفِيهِم﴾:

الضَّمير يرجع إلى الكفّار مكّة ويعُمُّ بدلالته السُّننيَّة

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿مُتْرَفِيهِم﴾ يعودُ إلى الكفّار الذين مرَّ ذكرُهم فيما مضى، وهم كفّار مكة[1]، فهو رجوعٌ إلى وصف الكفّار، وهو أوْلى؛ لأنَّه إذا أمكنَ ردُّ الكلام إلى ما اتّصلَ به كان أوْلى من ردِّه إلى ما بعدَه[2]، ويجوز أنْ يكون المُراد بالمُترفين جميعَ المشركين، فتكون الإضافة بيانيّةً، ويكون ذِكْرُ المترفين تهويلًا في التّهديد، وتذكيرًا لهم بأنَّ العذابَ يُزيل عنهم ترفَهم، والمعنى: (حتى إذا أخذناهم) وهم في ترفهم[3]، وهي وإن كانت خاصَّة بالمذكورين في السّياق، إلّا أنَّ حملَها على العموم أوْلى؛ لأنَّ هذا سنَّةُ جميع المُترفين الجاحدين.

نوعُ الباءِ ودلالتُها ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾:

باءُ الملاصَقة دليلٌ على توغُّلهم في أنواعِ العذابِ

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ على معناها الأصلي وهو (الإلصاق)، وهو دالٌّ على شدَّة تعذيبهم لكونهم مُلتصقين بالعذاب متلبِّسين به، فتدلُّ ملابستهم للعذاب على بيان نوع الأخذ والانتقام أنّه أخذُ تعذيبٍ وإهلاكٍ وتدمير، وأنْ ليس بينهم وبين العذاب حاجزٌ حتّى إنّهم توغَّلوا فيه وخاضوا في غمراته.

معنى التّعريفِ في لفظِ العذابِ:

العذابُ عامٌّ يدخلُ فيه كلُّ ما أصابَ المُترفين

(أل) في كلمة ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ للجنس المُستلزم للاستغراق بمعونة المقام، فيشمل كلَّ ما أصابهم من أفراده في المستقبل؛ كالقتل والأسر يومَ بدر، وكالجوع الّذي أصابهم حينَ دعا عليهم رسول

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 249.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 571.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 83.

اللّه ﷺ بقوله: «... اللهُمَّ اشْدُدْ وِطْأَتَكَ علَى مُضَرَ، اللهُمَّ اجْعَلْها عليهم سِنينَ كَسِنِي يوسُفَ»[1]، فقُحطوا حتّى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرَّقة والأولاد، وكذلك أيضًا العذاب الأخروي[2].

بلاغةُ اختيارِ مُفرَدَة العذابِ:

العـذاب أعـمُّ دلالـــة مـن الـعـقـاب، والعقاب أخصُّ

عبَّر بـ (العذاب) دون (العقاب)؛ لأنَّ (العذاب) هو اللَّفظ الأوسعُ معنًى، فيشملُ ما دلَّ عليه العقابُ وزيادة، فالعقاب يُنبئ عَن اسْتِحْقاق، وسمّي بذلك لِأن الفاعِل يسْتَحقّهُ عقيبَ فعله، أمّا العذاب فيجوز أن يكون مُسْتَحقًّا وغير مستحق[3]، ومعنى هذا أنَّ بين (العقاب والعذاب) عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فكلُّ عقابٍ عذابٌ، وليس كلُّ عذاب عقابًا، كما أنَّ العقوبة قد تكون مخفّفةً بخلاف العذاب المستلزم للشدِّة، وهذا في الدُّنيا، أما في الآخرة، فلا فرق بين العذاب والعقاب؛ لأن اللّه تعالى لا يعذِّب إلّا عن استحقاق، ولا ننسى أنَّ العذاب أنسبُ للأخذ؛ لأنَّ الانتقام يكون بالعذاب أوجعَ من العقاب الّذي يختلف شدَّةً وقوّةً.

نوع ﴿إِذَا﴾ الثانية ودلالتها:

المـترفُ إذا وقـع بـه الـعـذاب فـاجـأك بجـؤاره واستغاثته

اختُلف في ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾؛ فقيل: هي الظَّرفيّة[4]؛ أيْ: وقتَ جؤارهم[5]، وقيل: هي الفُجائية، والمعنى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ فاجأك جؤارهم بالصّراخ والاستغاثة باللّه ﷻ من عذابه، و﴿إِذَا﴾ الثانيةُ في موضعِ جوابِ ﴿إِذَآ﴾ الأولى[6]، وكونُ الجواب مُفاجئًا يدلُّ على شدَّة العذاب النّازل بهم، حتّى إنَّهم

(1) صحيح البخاريّ، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (6393).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 142.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 239.
(4) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 4/ 612.
(5) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 337.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 142، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 248.

بمجرَّد أخذهم به صرخوا واستغاثوا، وما تلك السُّرعة الّتي تُنبئ عنها المفاجأة إلّا دليلَ كون العذاب غيرَ مُحتمَل.

بلاغةُ جملةِ ﴿هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾:

شـدَّةُ العـذابِ تستدعي جـؤارًا لم يُسمَع

قُدِّم المُسنَد إليه - وهو ضميرُ الفصل - على المُسنَد الفعليّ في قوله تعالى: ﴿هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ لتقويةِ الحكم، وتأكيدِ حصول جؤارهم وصُراخهم واستغاثتهم معَ ما فيه من التَّخصيص، فهم يجأرونَ دونَ غيرهم؛ بسببِ ما أصابَهم من شدَّة العذاب، وهول المصاب، ولأنّهم كانوا السّببَ في إغواءِ غيرهم، فيتحمَّلون أوزارهم وأوزارَ مَن يُضلّونهم بقسوة العذاب وشدَّتِه.

دلالةُ التَّعبيرِ بمُفرَدَة ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

جُـؤارُ المُـشـركِ أشـدُّ مـن خـوارِ البقرِ

أوثر التَّعبير بمُفرَدَة ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ دون غيرها، لما تحملُه من معنَيَي رفعِ الصَّوت مع الاستغاثة والتضرُّع، يُقال: جَأَرَ يَجْأَرُ جَأْرًا وجُؤارًا: رَفَعَ صَوْتَهُ مع تَضَرُّعٍ واسْتِغاثَةٍ[1]، وفيه إيماءٌ إلى تشبيههم بالبقر عندما يخورُ تهكُّمًا بهم واستخفافًا، فما أشبه الجؤار بالخوار؛ بل الخوار ألطفُ على الأُذن من الجُؤار؛ لأنَّهم أضلُّ من الأنعام، ودلَّ التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ على تكرُّر جُؤارهم وصُراخهم وتجدُّده كلَّما اشتدَّ عليهم العذاب، وازدادَ عليهم لفحُ جهنّم.

نكتةُ حذفِ مُتعلّقِ الفعلِ:

الـجـؤارُ سـلـوكُ المعذَّبين وصوتُ المُعاقَبين

حُذف مُتعلّق ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ فلم يَقُلْ: (يجأرون من العذاب) لمعرفةِ المحذوف من السّياق، ولإفادةِ العموم؛ أيْ: يجأرون من العذاب كلِّه بجميع ألوانِه، أوْ لتنزيله منزلةَ اللّازم، فهم يجأرون جؤارًا ثابتًا فيهم، بحيث يصبحُ مسلكَهم ومنهجَهم في العويل والنَّحيب مع ما في الحذف من مراعاة الفاصلة.

(1) ابن منظور، لسان العرب: (جأر).

نوع ﴿لَا﴾ ودلالتها:

توبيخُ المشركين على جُـؤارِهـم وتقريعُهم على استغاثتِهم

﴿لَا﴾ في قوله: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ﴾ ناهية، والغرضُ من النَّهي تحسيرُهم وإقناطُهم بقطع آمالهم في الإغاثة من هذا العذاب الّذي حلَّ بهم؛ فمعنى: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ﴾: اخرَسوا واصمُتوا فلن يُفيدَكم ذلك مهما بالغتُم فيه، مع ما فيه من التّقريع والتّوبيخ والتّهديد، وقيل: النّهي هنا مُستعملٌ في معنى التّسوية، وورودُ النّهي في معنى التّسوية مقيسٌ على ورود الأمر فيها، وقد اجتمعا معًا في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ﴾ [الطّور: 16][1]؛ أيْ: جأرتم أوْ لم تجأروا؛ فالأمرُ سيّان.

نكتةُ التَّعبيرِ بالنَّهي دونَ الأمرِ:

الـجُـؤارُ مستمرٌّ ما دام العـذابُ قائمًا

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالنَّهي دون الأمر؛ فقال تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ﴾ ولم يَقُلْ: (اخسؤوا أو انتهوا أو اصمتوا ونحوه)، لكونه أزجرَ وأنسبَ بالمقام، من جهة كونه ناشئًا عن حالهم وواقعِهم المفهوم من قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾، فإنَّ قوله تعالى: ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ وصفٌ لم يسمعْه أولئك؛ بل حُكي عن حالهم، فكان إسماعُهم ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ﴾ هو موضعَ التّقريع والتّوبيخ، بخلاف أنْ يأتي أمرٌ بالصّمت، فإنَّه يُلزمُهم السُّكوت، وليس إسكاتُهم مطلوبًا؛ بل المطلوب تقريعُهم وتوبيخُهم، فإنَّ الجؤار مستمرٌّ ما دام العذاب واقعًا.

بلاغةُ ذِكْرِ الظَّرفِ:

النَّـهيُ ثابتٌ في يومِ الجؤارِ؛ فما أطولَه من يومٍ!

من المعلوم أنَّ النّهي يكون في زمنٍ، وقد آثر النّظمُ ذِكْرَ ﴿ٱلْيَوْمَۖ﴾ مع كونه لا يحتاجُ إلى ذكرٍ؛ لأنَّه مُتعيّنٌ ومعلومٌ؛ وذلك "لتهويلِه والإيذانِ بتفويتِهم وقتَ الجُؤار"[2]، وللإيماءِ إلى أنَّ النَّهي عن الجُؤار سيكون اليومَ، فما دام هناك جؤارٌ سيكون نهيٌ عنه في ذلك اليوم.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 142.

بلاغةُ التّعليلِ ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾:

حـالـةُ الـجـؤارِ حـالـةُ الـيـائسِ الغريقِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ جملةُ تعليلٍ، فموقع (إنَّ) هنا إفادةُ التّعليل؛ لأنَّها تُغني غَناء فاء التفريع[1]، والتّعليل للنَّهي عن الجؤار ببيان عدم إفادته ونفعه؛ أيّ: لا يلحقُكم من جهتنا نصرةٌ تُنجيكم ممّا دهمَكم[2]، وغرضُها التّيئيس من حالهم الّتي وصلوا إليها، فإنَّ حالة الجؤار هي حالة اليائس الغريق، ولا مَنْجى لهم إلّا بيد مَن قال: ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، ولا يعني هذا التّحديد أنّهم يُنصرون من غيره تعالى؛ لأنّهم لمّا صرخوا كان جُؤارُهم مُتوجِّهًا له دونَ غيره، وعندما يُعلمُهم بأنَّه لا يلحقهم نصرٌ من جهته فمعناه أنّه لا ناصرَ لهم غيرُه تعالى.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ (من):

تضمينُ النَّصرِ معنى النجاةِ من العذابِ

(من) في قوله: ﴿مِّنَّا﴾ ابتدائيةٌ، والمعنى: إذا لم يلحق نصرٌ ابتداءً من جهته تَعالَى؛ فلا نصرةَ لهم أصلًا إذ لا ناصرَ سواه، وجوَّزوا أن تكون ﴿مِّنَّا﴾ للتّعدية على تضمين النّصر معنى المنع[3]؛ أيّ: لا يمنعكم أحدٌ من عذابنا، أوْ تضمين معنى النّجاة؛ أيّ: لا تنجون من عذابنا، فثمَّ مُضافٌ محذوفٌ بعد (من) - وهو العذاب - وحذفُ المُضاف في مثل هذا المقام شائعٌ في الاستعمال[4]، ويترجّحُ الابتداء على غيره الّذي يستلزم التّضمينَ أوْ تقديرَ المحذوف؛ لأنّ نفي النّصرة من جهة اللّه تيئيسٌ له بعدم وجود أيِّ ناصر لهم، ويكون فقدانُ الناصر كنايةً عن مكوثهم في العذاب لترك اللّه تعالى نصرتَهم وإغاثتَهم.

نكتةُ إيثارِ الإضمارِ على الإظهارِ:

التّـهـديـدُ بالخطابِ أوقعُ مـن الـتّـهـديـدِ بالغَيبةِ

جاء التَّعبير بالضَّمير في قوله تعالى: ﴿مِّنَّا﴾ ولم يَقُلْ: (إنكم من

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 142.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 198.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.

اللّه لا تنصرون)، لأنَّه أدلُّ وأوقعُ على المُراد، لأنّه لا مُنازعَ له سبحانه حتّى يتميَّز بالإظهار، ولما فيه من التَّهديد بعبارات الخطاب، فإنَّ خطابَ المُعذَّب أشدُّ من الغَيبةِ إذا كان نتاجه اليأس وانعدام الأمل، كما أنَّهم لمّا جأروا وصرخوا من العذاب لم يُحدِّد النّظمُ المجؤور له؛ للدّلالة على أنّه اللّه وحدَه ولا أحدَ غيره، ومن ثَمَّ فإنَّ المقامَ مقامُ إضمار تشخيصًا لما تمَّ السّكوت عنه سابقًا، فيكون التّقدير: (إذا هم يجأرون - إلى اللّه - لا تجأروا اليوم إنّكم منّا لا تُنصرون)، فكان تركُهم للفظ الجلالة للعلْم بأنَّهم لا يجأرون لغيره، فكانت معلوميّتُه سرًّا وراء الإضمار في مقام الإظهار، وفي التَّعبير بضمير الجمع للتّعظيم دلالةٌ على عظمة ذلك النّاصر والمُعين لو بذلَ نُصرتَه لهم.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرورِ:

قُدِّم الجارُّ والمجرور: ﴿مِّنَّا﴾ على النَّفي ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾؛ للاهتمام بجانب اللّه تعالى فهو المقدَّم، فإن كانت النُّصرة من أحدٍ في ذلك اليوم العصيبِ فهي من اللّه تعالى، مع ما فيه من رعاية الفاصلة، ونُلمح هنا إلى أنَّ تقديم مبدأ النُّصْرة المَنفيّة يُفيد اختصاص النُّصرة به في ذلك اليوم بأسلوب المجاراة؛ إذ لا يحصل الإقناط بسلب النُّصرة من جهته ووجود جهاتٍ أخرى تنصرُهم من عذاب اللّه، فيكون المُراد: ابحثوا عن ناصرٍ لكم ينصرُكم من دون اللّه، فإن لم تجدوا فإنّنا لن ننصركم، وهذا أبلغ في نفي النّصرة وإثبات أنّه النّاصر وحده تعالى.

الإقناطُ الكاملُ يتحقّقُ عن طريقِ مُجاراةِ الخَصْمِ

غرضُ النَّفي ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾ ودلالتُه:

جاء نفيُ النّصرة في قوله تعالى: ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾ بغرضِ التَّيئيسِ وقطع أيِّ أملٍ لهم في النَّجاة من هذا العذاب الّذي هم ملابِسوه، فإنَّ نفي النّصرة بهذا العموم والإطلاق، يقضي على أدنى أملٍ قد يعنُّ لبعضهم؛ لأنَّ جملة النَّفي وقعت خبرًا عنهم فتفيد تقوية الحُكم وتأكيده.

بلاغةُ فعل ﴿تُنصَرُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

نـفـيُ الـنُّـصـرةِ متّجهٌ لكلِّ ما يتوهّمُه الذِّهنُ

جاء فعل ﴿تُنصَرُونَ﴾ مضارعًا منفيًّا، للدلالة على استمرار النَّفي قطعًا لأطماعهم في النَّجاة حالاً واستقبالاً، وبُنِي للمفعول للتهويل، ولتيئيسهم من أدنى أملٍ، وكأنّه فُقد العلْمُ بمَن ينصرهم ويمنع عذاب الله عنهم؛ وإذا جُهل النّاصرُ والمُعينُ ثبتَ اليأسُ لهم وانقطعَ سبيلُ النّجاة عنهم.

دلالةُ فصلِ صدرِ الآيةِ:

لا ينصر الله من أعـرض وكـذَّب بآياته

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مفصولٌ عن جملة ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ لقصد إفادة معنى التّنديم والتّلهيف، وعلى هذا فالجملة استئناف[1]، أوْ لبيانِ علَّة عدم نصرهم[2]؛ أيْ: لا تُنصرون في هذا اليوم لأنَّه كانت آياتي تُتلى عليكم، وعلى هذا، فسبب الفصل هو كون الآية تعليلًا لما قبلها، وهو المُسمَّى بالفصل لشِبْه كمال الاتّصال، ووجاهةُ هذا الرّأي في الجمع بين عِلَّتَيْن؛ هي أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ تعليلٌ لنهيهم عن الجؤار، وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي﴾ تعليلٌ لعدمِ نصرهم، فهما علَّتانِ لمعلولَيْن مختلفَيْن، وتوالي المعلول مع علَّته طريقةٌ إقناعيّةٌ وبرهانيّةٌ لتفنيد حُجَجهم وبيان منشأ غلطهم وأنّهم المُتسببون في هذا المصير السَّيِّئ والعذاب المهين من دون ظلمٍ وقعَ عليهم، أوْ غَبْنٍ تحقَّق فيهم.

دلالةُ استعمالِ أداةِ ﴿قَدْ﴾:

التّحقيقُ مُسجَّلٌ لفداحةِ ظُلمِهم لأنفسِهم

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، والمُراد تحقيقُ وقوعِ ما دخلَتْ عليه، وهو تلاوةُ آيات القرآن عليهم من النبيِّ ﷺ ومن المؤمنين في كلِّ عصر، فلا مجال للشَّكِّ في ذلك أو الإنكار له، وهذا التّحقيقُ للحدث يُنبئ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 142، والبقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 163.

عن مدى فداحة ظُلمهم لأنفسهم في عدم الانتفاع بما يُتلى عليهم من البراهين والأدلَّة الدّامغة.

فائدةُ ذِكْرِ فعلِ الكونِ الماضي:

إقـامـةُ الـحُـجَّـةِ وإرغـامُ الـخَـصْـمِ علَّةُ عدمِ النّصرةِ

آثرَ النَّظمُ الكريم ذِكْرَ الفعل الماضي ﴿كَانَتْ﴾ لبيانِ أنَّ تلاوة آيات القرآن الكريم كانت في كلِّ وقتٍ وحينٍ، فلم يَقُلْ: (قد تُليت آياتي)، بالإضافة إلى تأكيد تلاوة آيات القرآن عليهم واستمرار التلاوة[1] عليهم، وفي ذلك إقامةُ الحجَّة عليهم، حيث إنَّه لم يكن هناك تقصيرٌ في تبليغ الدَّعوة، وإقامة البرهان، وهو ما يُرشِّح أنَّها علَّةٌ للجملةِ المُتقدِّمة.

دلالةُ إضافةِ الآياتِ إلى ضميرِ المُتكلِّم:

تـشـريـفُ الآيـاتِ دليلٌ عـلى أنَّـهـا الـحـقُّ الـواجـبُ اتّباعُه

في إضافةِ الآياتِ إلى ضميرِ المُتكلِّم ﴿ءَايَٰتِي﴾، والمُتكلِّمُ هنا هو ربُّ العالمين، تشريفٌ وتعظيمٌ للآيات المتلوَّة، وهي آياتُ القرآن الكريم وبراهينه القطعية الدالّة، فلا مجالَ لحمل الآيات هنا على غير آيات القرآن الكريم بقرينةِ قوله: ﴿تُتْلَىٰ﴾، وتشريف الآيات يدلُّ على صدقها وحقّيَّتِها وحقيَّةِ الرَّسول المبلِّغ لها وصدقِه.

دلالةُ بناءِ فعلِ التّلاوةِ للمفعولِ:

تـكـريـمُ الـتّـالي (قـارئ الـقـرآن) بـعـد تـشـريـفِ المَتْلوّ (الآيات)

في بناء الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ للمفعول إفادةٌ للعموم؛ أيْ: عموم التّالينَ للآيات دون تعيين، وتكريمٌ لمَن يتلون الآيات المشرَّفة، وذلك بعد أن شرّفت الآيات المَتلوَّة نفسها بالإضافة إلى ضمير المُتكلّم العائد إلى المنزِّل سبحانه؛ فلمّا كانت عظمةُ الآيات الّتي استحقَّت بها الإضافة إليه سبحانه تكفي في الحثِّ على الإيمان بمُجرَّد سماعها، بُني للمفعول قوله تعالى: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أيْ: وهي أجلُّ الأشياء من أوليائي وهم الهُداة النُّصحاء[2].

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5092.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 3/ 193.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تُتْلَىٰ﴾:

استحضارُ التّلاوةِ زمنَ العتابِ تذكيرٌ لهم بظُلْمِهم

عبَّر النَّظم بالفعل المضارع ﴿تُتْلَىٰ﴾ استحضارًا للحالة الماضية وتصويرًا لها، حتّى تكون ماثلةً أمامهم وقتَ العتاب والتأنيب، وللدِّلالة على أنَّ الآيات تُليت عليهم مرارًا وتكرارًا، ومع ذلك لم يعتبروا.

دلالةُ استعمالِ مُفرَدَةِ التّلاوةِ:

التّلاوةُ تحقيقُ الإسماعِ وإلزامُ الحُجَّةِ

في استعمال مُفرَدَة التّلاوة مُمثَّلةً في الفعل ﴿تُتْلَىٰ﴾ دلالتانِ، الأولى: أنّ القراءة قد تتابعَتْ عليهم، بمعنى أنَّ الدُّعاة من الأنبياء والمُصلحين قاموا بتبليغهم مرارًا وتكرارًا ولم يُقصِّروا في تبليغهم الآيات، الثّانية: أنّ مُقتضى التّلاوة الالتزامُ باتّباع ما يُقرأ ويُتلى، فالقرآن إنّما يُتلى ليُعمل به، ولذلك خُصّت قراءة القرآن دون غيره باسم (التّلاوة)، وعلى هذا؛ فالتّلاوةُ أخصُّ من القراءة، وذلك أنَّ كلَّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليس كلُّ قراءة تلاوةً، لا يُقال: تلوتُ رقعتك؛ وإنّما يُقال في القرآن؛ لأنّه إذا قرأتَه وجبَ عليك اتّباعه، بتلوِّ العملِ للقراءة[1]، فالتّلاوةُ تُفيد المتابعة مِن (التّتالي) و(التّلوّ)، سواء كان ذلك بتتالي الآيات المقروءة أوْ بتلوِّ العمل للمقروء.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الاستعلاءِ:

القرآنُ الكريمُ نعمةٌ على العبادِ ترفعُ من مُتَّبِعيه وتحطُّ من مُخالِفيه

من بلاغة القول في استعمال حرف الاستعلاء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ الدّلالة على أنّ الآيات القرآنيّة نعمةٌ من الله على مَن يتلوها ومَن تُتلى عليه، لتمكُّنها من أدوات الهداية وأسبابها، فالقرآن يهدي لأقوم الطُّرق كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] وما تكون منه الهدايةُ يكون مُشرفًا ومُستعليًا على مَن يتلقّاها.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَكُنتُمْ﴾:

(الفاء) عاطفةٌ ودالّةٌ على التّرتيب والتّعقيب؛ أيْ: كنتم بمجرَّد

(1) الرّاغب، المُفردات: (تلو).

سماع الآيات تنكِصونَ على أعقابكم رفضًا لها وانصرافًا عنها؛ فالفاء تُشعِرُ بسرعة الرَّدِّ والرَّفض، وأنَّهم كانوا قاطعينَ ومُتسرِّعين في الإنكار.

براعةُ مجيءِ ﴿فَكُنتُمْ﴾ بعدَ ﴿كَانَتْ﴾:

مقابلةُ ديمومةِ التّلاوةِ بديمومةِ الإعراض

مضى أنَّ فائدة ﴿كَانَتْ﴾ الأولى تأكيدُ الوقوع واستمرارُ التّلاوة، وأمّا ﴿فَكُنتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ فللدِّلالة على أنَّ نكوصهم على أعقابهم، هو كالطّبع فيهم والسَّجيَّة لهم، بحيث لا يتخلَّف، فالآيات تُليت عليهم على الدّوام، وهم قابلوها بالنُّكوص على الدَّوام، وبهذا التّقابل بين الفعلَيْنِ المُتضادَّيْن، الأوّل منهما الدّعوةُ إلى الخير، والثّاني: الإعراضُ عنه والرّدُّ له يتجلَّى مقدارُ الذّنب الّذي أحرزوه والجرم الّذي اقترفوه، إذ كانوا يُقابلون دعواتِ الآيات بالإعراض والنُّفور، فلا حُجَّة لهم اليوم، ولا نصيرَ يُعينهم الآن.

بلاغةُ مجيءِ حرفِ الاستعلاءِ:

سماعُ القرآنِ سببُ فرارِ مَنْ شابهَ الحُمُرَ المُستنفِرَةَ

آثرَ النّظمُ استعمالَ حرف الاستعلاء في قوله: ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ دون أن يقول: (فكنتم تنكصون)، وذلك للدِّلالة على عَجَلَتِهم وسُرعتِهم وفرارِهم من سماع الذِّكْر، كما قال سبحانه عنهم بعد ذلك: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ وقوله في موضعٍ آخر: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: 93] وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الجاثية: 31]، كما تمَّ التّقابل بين حرفَي الاستعلاء أيضًا؛ إذ كانت الآياتُ تُتلى عليهم وكانوا يَنكِصون على أعقابهم بدلًا من الانتفاعِ بها والعملِ بمضمونها.

تصويرُ مشهدِ الإعراضِ بالفرارِ عن الحقِّ

بلاغةُ التَّعبيرِ بمُفرَدَةِ: ﴿أَعْقَٰبِكُمْ﴾:

الأعقابُ: مُؤخَّرُ الأرجُلِ، وفي التَّعبير بها دلالةٌ على إدبارِهم

وإعراضِهم عن القرآن بطريق الكناية؛ لأنَّ المرءَ إذا مشى باتّجاه عقِب رِجْلِه، فإنَّه يسيرُ إلى الوراء والخَلْف، وفيه تصويرُهم بأبشع صور الفرار، وفي جمع ﴿أَعْقَٰبِكُمْ﴾ دلالةٌ على كثرتهم واحتشادهم، وأنَّ المُعرضين عن القرآن ليسوا قلّةً، كما أنَّها أُضيفت إلى ضمير المُخاطَبين، للتّنديد بهم وتشديدِ النَّكير عليهم.

بلاغةُ الاستعارةِ التمثيليةِ:

في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ فهو تشبيهُ حالٍ بحالٍ، حيث شُبِّهت حالهم عند سماع القرآن بآذانهم دون أنْ تَعيَه قلوبهم فيُعرضون عنه ويُدبرون بحالِ مَن يسيرُ القهقرى إلى الوراء، لبيان شدَّة غفلتهم وإعراضهم وفرارهم من سماع الحقِّ، الّذي يبدو ظاهرًا مُنكشفًا سافرًا، فهو تمثيلُ حالِهم بحال الخائف من الوقوع فريسةً لقَسْوَرةٍ يريدُ الانقضاض عليه، فمعَ ما فيه من ذمِّهم بسبب إعراضهم، ففيه كذلك تقبيحٌ لصورتهم الّتي تدلُّ على خورهم وجبنهم، وبذلك يتمُّ التّقابل بين صورةِ الآيات الّتي تتابعُ عليهم قادمةً إليهم تريدُ النّفع لهم، وصورة الرّجوع إلى الخلف هاربينَ من السَّماع والانتفاع.

المُعرِضون عن الحقِّ جمعوا بين خَورهم وصدودهم

غرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ على الفعلِ:

قدَّم النّظمُ الكريم الجارَّ والمجرور ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ على فعل ﴿تَنكِصُونَ﴾؛ لتصويرِ إعراضهم وإدبارِهم، وإبرازه للقارئ في صورة المشاهد المحسوس، ولأنَّ غرابة النُّكوص على الأعقاب مُقدّمةٌ في الذِّكْر لبيان حالهم الغريبة العجيبة، كما فيها مراعاة للفواصل.

غرابةُ الحالِ تقتضي تقديمَ أبرزِ ما فيها

بلاغةُ التّمثيلِ باستعمالِ مُفرَدَةِ ﴿تَنكِصُونَ﴾:

النُّكوصُ هو الرُّجوعُ من حيث أتى الإنسان، ولا يُقال: (نكص) إلّا في الرّجوع عن الخير[1]، ويُقالُ مجازًا للفرار والإدبار، كما في

غرابةُ الإعراضِ يُناسبُها غرابةُ النّكوصِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نكص).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: 48]؛ أيْ: ولَّى مُدبرًا، والنّكوص هنا "تمثيلٌ للإعراض"[1]، فالمشركون نكَصوا على أعقابهم في حين أنَّ أسباب الهداية والرِّفعة والعزَّة والنَّجاة في الدّارين حاضرةٌ، لكنَّهم أتَوا بفعلٍ غريبٍ مُخالفٍ للفطرةِ فقلبوا الموازين، ونكَصوا على أعقابهم كِبْرًا وجُحودًا وإعراضًا.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَنكِصُونَ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَنكِصُونَ﴾ على تكرُّر النّكْصِ منهم كترجمةٍ لما أفادته (كان) من دلالةٍ على أنَّ النَّكصَ والإعراضَ هو فيهم أصبح طبعًا وجبلَّةً، وفيه لومٌ وتوبيخٌ شديدٌ؛ أيْ: كنتم تنكصون المَرّةَ تلو الأخرى بعدد سماعِ آيات القرآن الكريم، فما لانتْ قلوبكم، ولا استجابتْ عقولكم، ففيه تهديدٌ شديدٌ بأنْ ينالوا عقابَ إعراضهم إعراضًا عن إنجائِهم وإنقاذهم من عذابٍ شديدٍ.

مَـنْ أصـرَّ على الاستـكبـارِ فلا ينتظرُ العفوَ من الجبّارِ

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ بالنَّصب حالٌ من فاعل ﴿تَنكِصُونَ﴾؛ أيْ: ﴿تَنكِصُونَ﴾ حالَ كونكم ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن سماعِ آياتِ القرآن الّتي تُتلى عليكم، وفي استعمال اسمِ الفاعل الجمْعيِّ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ دونَ التَّعبير عنه بفعل (تستكبرون) دلالةٌ على كثرتهم، وعلى أنّ استكبارَهم طبعٌ ثابتٌ مُؤصَّلٌ فيهم، ولو عبَّر بالفعل بدله لأفادَ الحدوث والتجدُّد دون الثّبوت والرُّسوخ، كما أنَّ السّين والتّاء في ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ للتّقوية، وقد تُحملان على الطَّلب بتنزيلهم منزلةَ مَن يطلب الاستكبار، فيدلُّ على شدّة حرصهم عليه، وأفادتِ الحالُ أنَّ نكوصَهم ورجوعهم إلى الخلف كان بهيئة المُستكبرينَ عن سماع الآيات، وبذلك جمعوا بين حالة الخوف من خلال الإدبار والتّولّي عن المواجهة وحالة الصُّدود من خلال الاستكبار، فكانوا يجمعون

رسوخُ الاستكبارِ وتـدٌّ للمجرمين في النّارِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.

بين الخَوَر النّفسيّ والصّدود الفعليّ عندما كانوا يتراجعون إلى الخلف وهم مُستكبرونَ عن سَماع الآيات الّتي تُتلى عليهم.

نوع (الباء) وتعيينُ مرجعِ الضّمير، وأثرهما في التنوّعِ الدّلاليّ:

الضَّميرُ للآياتِ بمعنى القرآنِ، وللباءِ احتمالاتٌ متعدّدةٌ

الأظهر أنَّ الضَّمير المجرور في قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ يعود إلى (الآيات) في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ وتذكيرُه؛ لأنّها "في تأويل القرآن، فيكون ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى مُعرضين استكبارًا، وتكونُ الباءُ بمعنى (عن)، أوْ ضُمِّن ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى ساخرين، فعُدّي بالباء للإشارة إلى تضمينه"[1]، ويجوز أنْ تكون (الباء) للمصاحبة أوْ للسّببيَّة على معنى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ استكبارًا مُصاحِبًا لسماعه؛ أيْ: مُتعالين على القرآن نفسِه، أوْ مُتعالين بسببه لأنَّهم لم يُذعنوا لحقائقِه[2]، والأرجحُ أنَّ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ قد تضمَّن معنى السُّخرية الّتي تتعدَّى بـ(الباء)، فيكون في استكبارِهم سُخريةٌ به في آنٍ واحدٍ، وبذلك جمعوا بين الاستكبار والسُّخرية معًا، وهذا شأنُ المُستكبرين أنْ يَمزجوا غرورهم بالسُّخرية والاستخفاف، وقيل: الضَّمير للتَّكذيب المفهوم من قوله: ﴿تَنكِصُونَ﴾[3] فتكونُ الباء للسّببية كذلك؛ أيْ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ بسبب التّكذيب، أوْ على تضمين الاستكبار معنى التّكذيب[4].؛ أيْ: مُكذِّبين به.

دلالةُ استعمالِ مُفرَدَةِ ﴿سَٰمِرًا﴾ مادّةً وصيغةً:

من أماراتِ خفّةِ العقلِ وضعْفِ الرَّأي استبدالُ الرّخيص بالغالي والغثِّ بالسّمين

التَّعبير بـ(السّمر) يدلُّ على الانشغال باللّهْو عن القرآن، فإنَّهم قد استبدلوا العبثَ واللّهو بالقرآن، لخفَّة عقولهم، ويجوزُ أنْ يكون التَّعبير بها إخبارًا عن الواقع، وأنَّهم كانوا كلَّما استمعوا للقرآن خلصوا إلى مجلس السَّمَر حتّى ينشغلوا به فينصرفوا عن التأثُّر بالقرآن، وقد

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 85.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5093.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 198.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 143.

حكى القرآن عنهم في هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فُصِّلت: 26].

و﴿سَٰمِرٗا﴾ منصوبٌ على الحال، كما نُصب ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عليها؛ فهي حالٌ ثانيةٌ من ضمير المخاطَبين؛ أيْ: حال كونكم مُستكبرين وحالَ كونكم سامرين، والسّامر: اسمٌ جمع وإنْ كانت صيغته صيغةَ الإفراد، وهو اسمٌ لجمعِ السّامرين؛ أيْ: المُتحدِّثين في سمَر اللَّيل وهو ظُلمته، أوْ ضوءُ قمره، فالسّامر كـ (الحاجِّ والحاضر والجامل)؛ بمعنى: (الحُجّاج والحاضرين وجماعة الجِمال).

توجيهُ القراءاتِ القرآنيّةِ في ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ وبلاغتها:

المشركون كانوا يهجُرون بالهذَيانِ عند سَماعِ القرآن فيهجُرون سماعَه

قرأ نافعٌ وحدَه: ﴿تُهۡجِرُونَ﴾ بضم التّاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ بفتح التّاء وضمّ الجيم[1]، والحجَّةُ لقراءة فتح التّاء وهي قراءة الجمهور: أنَّ المُراد هُجرانُ المصادمة، لتركهم سماعَ القرآن والإيمانِ به، والحجَّة لقراءة ضمِّها وهي قراءة نافع: ﴿تُهۡجِرُونَ﴾؛ أيْ: تأتون بالهُجْر، وهو الهذيانُ وما لا خيرَ فيه من الكلام، ومنه الحديث «كنتُ نَهَيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزوروها، فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ، وتُدْمِعُ العينَ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ، ولا تقولوا هُجْرًا»[2]، والهُجر مأخوذٌ من قولهم: أهجرَ المريض إذا أتى بما لا يُفهَم عنه، ولا تحتَهُ معنىً يُحصَّل، لأنّهم كانوا إذا سمِعوا القرآن لَغَوا فيه، وتكلّموا بالفُحش، وهَذوا، وسَبّوا؛ فقال الله ﷻ: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾[3]، ومن بلاغة القراءات هنا أن إحداهما قيّدت إطلاق الأخرى، فقراءة فتح التاء تحتمل: (تَهجرون ذِكْرَ الله والحقَّ، وتَهجرون كتاب الله تعالى ونبيّه ﷺ، وتَهجرون البيت؛ تقولون هُجْراً من القول، وهو

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 329.
(2) الحاكم، المُستدرَك، كتاب الجنائز، حديث رقم: (1393).
(3) ابن خالوَيْه، الحُجّة، ص: 258، والفارسيّ، الحجّة للقرّاء السّبعة: 5/ 298.

اللغو والهَذَيان)، فأتت قراءة الضم لتؤكد المعنى الأخير؛ وهو السَّبُّ والإفحاش من المنطق.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ مع حذفِ المُتعلَّقِ:

العنادُ على الباطلِ ثمرةُ المودَّةِ في الباطلِ

دلَّ استعمالُ صيغة المضارعِ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ على استمرارِهم في هَجْرِ القرآنِ، والهُجْرِ أثناءَ سماعِه عندما يُتلى عليهم، وتجدُّدِ ذلك كلِّه عند تجدُّد دواعيه، وقد حُذف مُتعلّق ﴿تَهْجُرُونَ﴾ فلم يَقُلْ: (تهجُرونه) أو (تهجُرون القرآن) للعلْم به، فالسّياق دالٌّ عليه، أوْ لتنزيله منزلةَ اللازم، فهم يَهجُرون القرآن هجرَ تركٍ، وهُجْرَ فُحْشٍ، ولمراعاة الفواصل.

بلاغةُ توالي الأحوالِ:

أحوالُ المشركين مع القرآنِ منهجٌ مسنونٌ لكلِّ مُعرضٍ ومُدْبِرٍ

توالت الأحوالُ في السّياق من مثلِ ﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ و﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ و﴿سَٰمِرٗا﴾ و﴿تَهۡجُرُونَ﴾؛ فيدلُّ ذِكْر هذه الأحوالِ جميعها متتاليةً، وكلُّها في السّوء أرفعُ من بعضٍ، على كونهم قد جمعوا كلَّ المعاني الذّميمة والأحوال السيِّئة في تعاملهم مع القرآن الكريم صدًّا وإعراضًا، ولَهْوًا عنه، ولَغْوًا فيه وهذيانًا، وهذه كلُّها معانٍ وأحوالٌ قد تلبَّس بها المشركون في تعاملهم مع القرآن الكريم، وممّا يلفت الأذهانَ أنَّ هذه الأحوال جاءت لبيان اجتماعهم في مثل قوله تعالى: ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾، و﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾، إذْ هو يدعو إلى التّعجيبِ من حال هؤلاء المُعرضين عن القرآن والاستغراب "من أن يجتمع جمعٌ على مثل ذلك؛ لأنَّ الجمع جديرٌ بأنْ يوجدَ فيه من يُبصرُ الحقَّ فيأمرُ به"[1].

بلاغةُ الفواصلِ المتواليةِ:

ائتلافُ اللَّفظِ واتِّساقِ المعاني سمةُ الفواصلِ القرآنيَّةِ

بُنيت فواصلُ الآيات الماضية على بناء أكثرِ فواصل سورة (المؤمنون)، وهو ختمُها بالواو والنّون، فهي من حيث التّناغمُ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 164.

الصّوتيُّ مُتناغمة، وملحوظٌ فيها مراعاة الفواصل، مع اكتنازها لأسرارٍ بلاغيّةٍ ودلالات تركيبية، بيَّنت التّقديم والتّأخير، وحذف المُتعلّقات في كلٍّ من: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، و﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾، و﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، و﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾، و﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾، و﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، و﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾، و﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ كما سبق بيانه في مواضعه، والشأن من حيث المعنى، هو شأنُ الفاصلة القرآنية عمومًا الّتي بُنيت على الائتلافِ والتّناسُب بينها وبين آياتها، لفظًا ومعنًى، ممّا هو ساطعٌ في الفواصل القرآنيّة سطوعَ النّجم في سماء اللّيل البهيم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّرف والغِنى:

التّرفُ بسْطُ النّعمة والإفراطُ فيه بشكلٍ مذموم، والغِنى يكون بالمالِ وغيره

التّرفُ هو التّوسُّع في النّعمة، يُقال: أُتْرِفَ فلانٌ فهو مُتْرَف[1]، وقد دأب القرآن الكريم على استعماله في محلِّ الذّمِّ، تنبيهًا على أنَّ المُترف لم يعرف لنعمة الله قدرَها، فاستعملها في غير محلِّها فآلت به إلى الكُفران بدلَ الشُّكران، تأمَّل هذا المعنى في هذه الآيات: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: 33]، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: 116]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾، والغِنى هو ما يُنافي الحاجَةَ، ويبلغ حَدَّ الكفاية ويكون بالمالِ وغَيره من القوَّة والمعونة، وقد قيل: قد يكثرُ المال والإنسانُ مُفتقِر[2]، وبذلك يكون الفرق بين التّرف والغنى ظاهرًا في أنَّ التّرف يكون في بسْط النّعمة والمال حتّى تجاوز المُترف في تصرفّاته الاستعماليّة لتلك النّعمة الّتي لم يُدرك واجباتِها

(1) الرّاغب، المُفردات: (ترف).

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 175، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والراغب، المُفردات: (غني).

حدودَ المعقول والمقبول شرعًا وعُرفًا، والغِنى يكون بالمال وبغيره ممّا يسدُّ الحاجة ويُغني عن السُّؤال، والتّرفُ مذمومٌ في القرآن؛ لأنّه مُصاحِبٌ لكُفرانِ النِّعم، والغنى يكون مذمومًا وغير مذمومٍ، بحسبِ أداء الحقِّ فيه والشُّكر عليه أوْ عدمِه.

الجُؤار والصُّراخ:

الصُّراخُ: الصَّوتُ الرَّفيعُ، تقول: صَرَخَ صَرْخَةً واصْطَرَخَ، بمعنًى، والتَصَرُّخُ، والمُسْتَصْرِخُ: المُستغيث[1]، وأمّا الجُؤار فهو رفعُ الصَّوت مع الاستغاثة والتّضرُّع، يُقال: جَأرَ يَجْأرُ جَأْراً وجُؤاراً: رَفَعَ صَوْتَهُ مع تَضَرُّعٍ واسْتِغاثَةٍ[2]، وبهذا يكون في الجؤار معنًى زائدٌ هو التّضرُّع، وأمّا الاستغاثة فقد تكون مع الصُّراخ أيضًا، كما أنَّ الجؤار فيه تهكُّم بالصّارخ؛ لأنّه في أصله صوتُ البقر والثّور بخلاف الصُّراخ.

الجؤارُ رفعُ الصّوتِ مع استغاثةٍ وتضرُّعٍ، والصُّراخُ رفعُهُ باستغاثةٍ وبغيرها

العَقِبُ والدُّبرُ:

العَقِبُ: مُؤخَّر الرِّجل، وقيل: عَقْبٌ، وجمعُه: أعقاب[3]، ويُطلق مجازًا على الإعراض والصُّدود والفِرار؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 144]، وقوله: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144] وقوله: ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾، والدُّبُرُ: خِلافُ القُبُلِ، ودُبُرُ الأمْرِ ودُبْرُهُ: آخره، والدُّبُرُ: الظَهْرُ، قال الله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: 45][4]، ويُطلق الدُّبُر مجازًا على ما يُطلَقُ عليه العقب مجازًا؛ أيْ: يُطلقُ على الإعراض والصُّدود والفرار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16]، وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾ [الأنفال: 15]، وبذلك يظهر أنَّ هنالك اشتراكًا بينهما في الدّلالة المجازيَّة مع الاختلاف في المعنى الحقيقيِّ لكلٍّ منهما.

العقبُ مُؤخّرُ الرِّجلِ، والدُّبُرُ: خِلافُ القُبُلِ، ويشتركانِ في الدّلالةِ المجازيّةِ، ويختلفان في أصل المعنى

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صرخ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جأر).
(3) الرّاغب، المُفردات: (عقب).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (دبر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»